الباب السادس
مصطلحات بدوية

الباب السادس

مصطلحات بدوية

اللهجة البدوية هي لهجة فريدة من نوعها وذات خصوصية نادرة ولا يستطيع أن يتحدثها إلا البدوي وقد يعيش غير البدوي سنوات طويلة مع عرب البادية وبالممارسة وبالسماع قد يتعلم بعض عبارات اللهجة البدوية وقد يقوم بتعلم بعض وليس كل مفردات اللهجة البدوية ولكنه إذا ما خضع لاختبار الإلمام باللهجة البدوية فإنه سيحصل على صفر مع مرتبة الشرف لأن اللهجة البدوية لا يستطيع الإلمام بها سوى البدوي نفسه والغريب والعجيب أيضًا أن البدوي يستطيع أن يتحدث جميع اللهجات لمختلف بلدان الوطن العربي ولا يمكن لغيره القيام بذلك.

والأغرب من ذلك أن البدوي بما وهبه الله من الذكاء الفطري العجيب أنه لا يعجز عن فهم أي لهجة عربية لمختلف أقطار الوطن العربي فمثلاً اللهجة الجزائرية لا شك أنك تشاركني الرأي إذا ما قلت أن اللهجة الجزائرية هي أكثر اللهجات العربية صعوبة في فهم معانيها ومعرفتها.

فلو طلبنا من اثنان أحدهما بدوي لم يحصل على أي قسط من التعليم والآخر أستاذًا ويحمل درجة الدكتوراه في مجال الانثربولوجي.

فإذا جلس كلاهما في مناظرة وطلبنا من كلاهما تفسير حديث مواطن من الجزائر الشقيقة يتحدث باللهجة الجزائرية فإن البدوية سيتفوق على أستاذ الانثربولوجي بالرغم من أن البدوي لم يرى الجزائر ولم يسافر إلى وهران ولا حتى طهران.

وبالرغم من أن أستاذ الانثربولوجي غالباً ما يتشدق بالدراسات الأكاديمية والنظرية التي لا تعدوا أن تكون مجلدات راكدة وراقدة لا يمكن أن يستفيد منها

حتى تلميذ الحضانة لأنها لا تمت بصلة إلى أي واقع أو حقيقة.

وفي المجتمع البدوي توجد مصطلحات كثيرة وكل مصطلح من هذه المصطلحات له معنى يمكن أن يكتب عنه العديد من المؤلفات ولهذه المصطلحات تفسيرات لا يمكن أن تجدها إلا في المجتمع البدوي وعلى لسان عرب البادية.

وسنقوم بذكر بعض من هذه المصطلحات البدوية التي تقال باللهجة البدوية وسأقوم إنشاء الله بتفسير وشرح كل مصطلح حتى يمكنك فهم المعنى الذي يعنيه المصطلح وما يهدف إليه. وذلك على النحو التالي:

[١] النزالة:

النزالة هي تعني النزول ونقول نزل إلى الشيء أي ركن إليه ونزل ينزل نزولاً ونزالة عند عرب البادية هي المصدر للفعل ينزل وينزل بمعني يركن أو يهبط أو يحل يقال نزل زيد بالفندق أي حل به نزيلاً والنزالة عند عرب البادية هي بمعني يحل وينزل أي يحل ضيفًا على غيره.

والنزالة بالمعنى البدوي هي أن قبيلة بالكامل تقوم بالنزول على قبيلة أخرى أي تحل ضيفًا عليها وذلك عندما يقع من أفرادها أو من أحد أفرادها جريمة معينة وهي جريمة القتل.

فإذا ما قام شخص أو أكثر من أفراد قبيلة معينة بالاعتداء على شخص من قبيلة أخرى وقد نتج عن هذا الاعتداء أن مات الشخص المعتدي عليه فالعادات والتقاليد البدوية تحتم على قبيلة القاتل أن تنزل أو تحل ضيفه على قبيلة أخرى لتكون في حمايتها من اعتداء قبيلة القتيل فتقوم قبيلة القاتل بترك منازلها وأعمالها وصغارها ونساءها ولا يبقى بالمنازل سوى الصغار من الأطفال والعوائل من النساء.

وهذا الأمر لحكمة تراها العادات البدوية وذلك حتى لا يكون أفراد قبيلة

القاتل هدفًا لقبيلة القتيل وعرضة لمهاجمتها من قبيلة القتيل.

وأن تزول قبيلة القاتل على قبيلة أخرى يعتبر بمثابة رسالة إلى قبيلة القتيل بأن قبيلة القاتل قد أصبحت في حمايتها ولا يجوز لقبيلة القتيل مجرد الاقتراب من أحد أفرادها ومنهج العادات البدوية يجعل من المستحيل التعرض لأفراد قبيلة القاتل ما دامت في حمايتها.

هذا هو المعني القريب لمصطلح النزالة

ولكن المعنى الأبعد من ذلك هو أن مقصود النزالة هو إبقاء قبيلة القاتل بعيداً عن انفعالات قبيلة القتيل وحتى لا يصل الأمر إلى حد التناحر بين القبيلتين وحتى لا يضحى الأمر بمثابة حرب فالنزالة المقصود بها السيطرة على الانفعالات وترك فرصة للتفاوض وشرح الملابسات وفترة النزالة عند عرب البادية حسب مسمى كل قبيلة وذلك حتى يترك المجال لتدارك هذا الأمر بالطرق السليمة بعيداً عن التناحر والتشاحن والبغضاء.

وذلك بأن يتم عرض الدية وشرح ملابسات الواقعة وتقييم الواقعة وتحديد دور الجاني ولا يمكن لذلك كله أن يحدث في ظل المواجهة وترك القبيلتان في مواجهة بعضهما البعض.

وبالتالي فإن النزالة تعتبر بمثابة الهدنة بين القبيلتين وذلك تمهيداً للوصول إلى أفضل الحلول حفاظًا على الأرواح والأموال.

وتستمر النزالة حتى يعود الوئام بين القبيلتين وذلك حقنًا للدماء والإبقاء على القدر الكافي من الاحترام المتبادل بين القبائل وذلك في اطار العادات والتقاليد البدوية.

[٢] الخطا:

الخطا عند عرب البادية يعني الخطأ والخطأ بالمعنى اللغوي بالهمزة على الألف

أما الخطا عند عرب البادية فمنطوقه بدون الهمزة فيقال الخطا والخطأ هو كل فعل وقع من المرء دون قصد وللخطأ عند عرب البادية مفهوم معين وهو أن الشخص الذي وقع منه الفعل دون مقصد وقد نتج عن هذا الخطأ ضرراً بالآخرين.

فإن العادات البدوية لا تجرم هذا الفعل وذلك لأن التقاليد البدوية لا ترى قصداً جنائيًا في مثل هذه التصرفات التي وقعت عن طريق الخطأ فعلى سبيل المثال إذا ما قام قائد سيارة بصدم شخصًا على سبيل الخطأ ونتج عن ذلك إصابة أو موت المجني عليه.

فإن العادات والتقاليد البدوية تحتوي هذا الأمر ويتم تداركه في اطار القبيلة أو القبائل وتكون الدية والتصالح والمصالحة والمصافحة ولا شيء في ذلك ولا شيء بعد ذلك.

وذلك لكون الفعل قد حدث بطريق الخطأ إلا مقصود.

ومجمل القول أن التصرفات التي تحدث بشكل الخطأ لا تجد أي صعوبة في أن يتم تداركها أو حلها في إطار التقاليد البدوية دون أي أحقاد أو ضغائن ودون أن نترك أي أثراً سلبيًا بين أفراد القبائل.

[٣] مسكة بنت العم:

الإمساك هو القبض على الشيء أو السيطرة عليه يقول مسكت الشيء أي حبسته ويحبس بمعني حجب الشيء أو منعه والسيطرة عليه.

وابنة العم هي ابنة شقيق الأب

فإذا ما كان ابن العم يرغب في الزواج من ابنة عمه كانت له مهما حدث وسواءًا وافقت البنت أو لم توافق وسواءًا كان ذلك نزولاً عن رضا والدي العروس أو بدون رضاهما ذلك لأن العادات البدوية تجعل من ابن العم الشخص الأكثر حقًا في الزواج من ابنة عمه ولا يحق لغيره أن يتزوجها إلا إذا كان ابن عمها عازفًا

عنها ولا يرغب في الزواج منها.

وكم من فتيات فاتهن سن الزواج بسبب ذلك الأمر فقد يتقدم ابن العم للزواج من ابنة عمه إلا أنها قد لا ترغب في هذا الزواج أو قد يرفض والدها ذلك الأمر لسوء سلوك الخطيب أو لعدم الارتياح له فما يكون من ابن العم إلا أن يعترض طريق كل من يتقدم لخطبة ابنة عمه ويخبره بأنه يريدها لنفسه ويطلب إليه إلا يعود إلى ذلك مرة أخرى.

وفي العادات البدوية أعراف لا يمكن تجاوزها أو الالتفاف حولها.

وهناك مثل يقول «ولد عمها ينزلها من على الكرمود»

ومعنى ذلك أن لدى ابن العم الصلاحية والحقوق التي تمنحها له العادات البدوية من أن يقوم بانزال العروس من فوق الكرمود أي الهودج ومعنى ذلك أن ابن عم الفتاة العروس يمكنه أن يعترض طريق زفافها ويعود بها إلى بيت والدها.

وهذا الأمر لا يزال راسخًا في العادات البدوية حتى وقتنا هذا فإذا ما ذهب ابن العم أو والده أو أرسل ابن العم أو والده إلى أهل الخطيب وطلب منهم أن يمتنعوا عن الاستمرار في الخطبة كان لهم ذلك ويعتذر لهم الخطيب عن ذلك وكذلك أسرته وعائلته وذلك لأن هذا النوع من العادات أمر متفق عليه بين جميع أفراد القبائل البدوية.

وأرى أن هذا الأمر لا يحالفه الكثير من الصواب ذلك لأن ابن العم قد لا يكون الشاب الذي تتمناه الفتاة لنفسها وترغب في العيش بجواره فأرى أنه لا يجوز لابن العم أن يقضي حياته مع فتاة هي له غير راغبة باعتبار أن الزواج منه قد فرض عليها من قبل العادات والتقاليد.

والأمر لا يتوقف عند هذا الحد بل وأن ابن العم قد يتزوج من فتاة ليست ابنة عمه وينجب منها الأولاد فإذا ما تقدم أحد إلى ابنة عمه التي لم توافق عليه ولم

ترغب في الزواج منه أو قد تم رفضه من قبل أهلها فما يكون من ابن العم إذا تقدم إليها خاطبًا إلا أن يعترض طريقه ولا يمكن للخطيب أن يجرؤ على الاستمرار في ذلك حتى لا يحدث أي نوع من النزاعات أو المشاحنات بين القبائل وتصل درجة العناد في هذا الأمر إلى أن يقول ابن العم المقولة المعروفة عند عرب البادية أنه سيجعلها «عشبه حد» وعشب الحد هو العشب الذي ينبت في المناطق على الحدود بين الأراضي فلا يقبل أحد على خلعها أو نزعها فتظل هكذا طوال الحياة ومعنى ذلك أن ابن العم سيجعلها مثل هذه العشبة لا تنزع من منزل أبيها إلى دار الزوجية أبدًا. وتظل ابنة العم هكذا حتى يطلق ابن العم سراحها.

وهناك الكثير والكثير من الفتيات البدويات قد حرمن من الزواج بسبب هذه العادة والتي اعتقد أنها ليست صائبة دائمًا لأنها تؤدي إلى الإضرار بكثير من الفتيات وتتسبب في حرمانهم من الزواج وهو أمر غاية في الخطورة فأرى أنه يجب تهذيب هذه العادة أو العزوف عنها.

[٤] الضريف أو الضريفة:

الضريف أو الضريفة هو اسم للرجل أو المرأة ذوي المقدرة على تشخيص بعض الأمراض وعلاجها فقد نجد في المجتمع البدوي أشخاص ليست لهم أي دراية بأمور الطب ولم يلتحق أحد منهم بكلية الطب ولم يشاهد حتى أسوارها عن بعد.

ومع ذلك نجد أن لديه مقدرة فائقة على تشخيص الأمراض وعلاجها فقد نجد ضريف أي خبير بعلاج العظام كالكسور وخلافه وقد نجد شخص ذو مقدرة فائقة في العلاج الطبيعي وآخر يستطيع علاج مرض الصفراء في عشر دقائق وأشخاص لديهم المقدرة على الإرشاد على علاج أمراض العقم والعجز الجنسي وتساقط الشعر وتجميل الشعر وعلاج الكثير من الأمراض بإذن الله دون أي آثار جانبية والغريب أن أيًا من هؤلاء لم يلتحق بأي جامعة أو حتى معهد تمريض.

وقد قرأت منذ فترة مقال لكاتب فرنسي يقول فيه:

«إذا مرضت العين فما ذنب الأذن»

ويقول الكاتب أن عرب البادية في مرسى مطروح سبقوا الصينيين في العلاج بالإبر.

ذلك لأن عرب البادية كانوا ولا يزالون في بعض المناطق إذا شعر شخص بألام في العين قاموا بثقب أعلى الأذن بواسطة الإبرة وذلك بتمرير الخيط منها وقد ثبت أن ذلك الأمر يؤدي إلى علاج العين ذلك لأن هناك وريد يصل بين العين وأعلى الأذن وأن الشخص المريض يشعر بأن الألم قد تحول من العين إلى الأذن فيكون التركيز على ثقب الأذن فتتعافى العين.

وقد ثبت أن عرب البادية قد سبقوا الصينيين في هذا الأمر الأكثر وسائل سرعة في علاج العين.

النضارة أو النظاره:

ومعنى هذا المصطلح هو أنه إذا ما وقع اعتداء من أحد الأفراد على آخر من قبيلة أخرى وكان الاعتداء شديداً بحيث أنه قد سبب للمعتدي عليه أضراراً شديدة وأن احتمال وفاة المعتدى عليه أو حدوث عاهة مستديمة به هو قبيل الأمر الوارد.

وهنا يتم مناضرة أو مناظرة المعتدي عليه سنة كاملة والنضارة أو النظارة هي بمعنى أن ينظر في هذا الأمر لمدة سنة كاملة فإذا ما توفي المعتدى عليه في خلال العام الذي وقع فيه الاعتداء كان المتوفي في ذمة المعتدي باعتبار أن الوفاة ناتجة عن اعتداءه وإذا ما نتج عن ذلك عاهة مستديمة في خلال سنة الاعتداء كانت ناتجة عن الاعتداء ولزم ذلك الأمر المعتدي وقبيلته وكان على عاتقهم ما يكون.

[٥] الكبـارة:

الكبارة هي أن يقوم الميعاد البدوي ومحكميه بتغريم المعتدي مبلغ من المال نتيجة هذا الاعتداء «وذلك اكباراً للحاضرين والمعتدى عليه وأن يعتذر للمعتدى عليه ويقدم له الغرامة التي قدرها المحكمين والميعاد البدوي للمعتدى عليه إكباراً له وللحاضرين.

وغالبًا مايتنازل المعتدى عليه عن هذه الأموال لأن الأموال والتعويض غير مقبول عند عرب البادية.

وأن مجرد عرض الكبارة أو الغرامة يرضي المعتدى عليه فيتنازل عن ذلك اكباراً للحاضرين وتقديراً لصنيعهم.

[٦] الوشيحة:

الوشيحة هي شاة ترسل مع العروس في يوم زفافها وتكون عبارة عن هدية من والدها إلى المنزل الجديد وهي عبارة عن شاة من الضأن ترسل مع العروس وهو أمر يعتبر من الطقوس البدوية في الزواج وهو تقليد قديم ولا يزال حتى الآن.

[٧] الونيسة:

الونيسة هي شاة تذبح عند وفاة أحد الأشخاص وكان عرب البادية قديمًا يذبحون هذه الشاة ويعتبرونها نوعًا من أنواع الصدقة تقدم للحاضرين لتناولها حتى تكون صدقة يستأنس بها المتوفي وتكون بمثابة الصدقة التي تنفعه عند الموت والونيسة بمعنى المؤانسة أو الاستئناس وذلك على ألا يأكل منها أهل الميت شيئًا ويأكل منها الحاضرين فقط وهو تقليد قديم ويندر العمل به في وقتنا هذا.

ويوجد الكثير والكثير من المصطلحات البدوية التي تحتاج إلى مجلدات لكتابتها والتعبير عنها لأن المجتمع البدوي والتراث البدوي مليء بكل ما هو رائع وغريب وأصيل وطريف ولكنه في مجمله هو الأصالة بعينها.